مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 05 السنة 2021 ص 605 - 614

تاريخ الإرسال: 2021/05/14 تاريخ القبول: 2021/09/18
تاريخ النشر: 2021/11/04

جمالية العنوان المتعدّد في روايات الطاهر وطار

The Multi-Title Aesthetics in Al-Taher Wattar's Novels-

بلحسين سليمان [1]
[1] belhocinesilmane@gmail.com، جامعة تيارت (الجزائر)

الملخص:

تعدّ عتبة العنوان العتبة الرئيسية التي تفرض على الباحث استنطاقه قبل الولوج إلى أعماق النّص الأدبي، لأنّه المحور الدلالي الذي يدور حوله مضمون النص، وتبنى عليه دلالاته السطحية والعميقة، ومن ثمّ، نرصد العنوان المتعدّد في روايات الطاهر وطار بوصفه استراتيجية في النّص، ثمّ إنّ العنوان المتعدّد نفسه متغير؛ وقد يتحدّد هذا التحول بآليات الاستبدال والتعديل والحذف والخرق. وعلى هذا الأساس، يصبح إنتاج العنوان المتعدّد وتلقيه عند الروائي من صميم الكتابة المتجدّدة. وضمن هذا الأفق، نرصد: العنوان المزدوج، تعدّد العنوان في الفصول والمقاطع.

الكلمات المفتاحية: العتبة، العنوان المتعدّد، العنوان المزدوج، الاستبدال، النص السردي، الخرق، الحذف.

Abstract:

The threshold of the title is the main threshold the researcher is forced to study before reaching into the depths of the text, because it is the semantic encoroachment that the content of the text conveys and is based on its superficial and profound

significance, of the multi-title in Al-Taher Wattar's tales as a strategy on which the text is mostly promoted/valued, then the multi-title itself is variable. This transformation may be determined by substitution, modification, deletion and breach mechanisms. On this basis, the novelist's production and reception of a multi-title becomes the core of renewable writing. Within this horizon, we observe the dual- and multi-title in chapters and sections.

Keywords: The threshold, Multi-title, dual-title, substitution, narrative text, breach, deletion

بلحسين سليمان ، BELHOCINESILMANE@GMAIL.COM

1.مقدمة:

لا مناص أنّ ما يلفت الانتباه في استراتيجية العنونة عند الطاهر وطار هو تعدّدية العنوان، فالنّص السردي غالبا ما يتصدّره مناصان أو أكثر، وكأنّ العنوان المفرد لا يستوفي دلالاته، ولا يلبي ذائقة المتلقي رغم أنّه موسوم بالكثافة والاختزال والبياض، ثمّ إنّ العنوان نفسه متغيّر، ممّا يعني أنّه ليس بنية مغلقة وساكنة. وقد يتحدّد هذا التحوّل بآليات الاستبدال أو التعديل، وبذلك يصبح العنوان الرئيسي عنوانا فرعيا، أو قد يحدث العكس. وربما حذف أحدهما، وقد يضاعف العنوان الفرعيّ. فضلا عن ذلك، يتضّح أنّ إنتاج العنوان المتعّد وتلقيه عند الكاتب هو من صميم استراتيجية تسمية نصوصه السردية.

وفي خضم هذا الطرح تراءت لنا طرح الإشكالات الآتية:

هل تمكّن الطاهر وطار من إبراز التلازم الجمالي في النّص الروائي؟

وهل تعدّد العنوان في رواياته يجلّي تغير المسار العام لها؟

وإلى أيّ مدى يوجه العنوان القراءة باعتباره بنية نصية ؟

نحاول الإجابة على هذه الإشكالات في ثنايا هذا المقال، ومن أهداف البحث التي يمكن تحديدها على سبيل الإيجاز لا الحصر فهي كالآتي:

أ–الوقوف على أدبية النص الروائي الجزائري.

ب– استكناه التحولات في النص الروائي الجزائري بين حداثة السرد وسرد الأحداث.

ج– تبين استراتيجية العنونة.

أما المنهجية التي اتبعتها في إنجاز هذا المقال تركزت حول نقاط هامة:

أولا: سجلت مُلخصا لأهم المحطات التي وقف عليها المقال، ومقدمة تضمنت توطئة مناسبة للموضوع وأهم التساؤلات التي قد تتبادر للقارئ، مُسجلا في الوقت ذاته أهداف البحث بإيجاز.

ثانيا: تطرقت إلى تجلية شعرية العنوان المتعدّد في روايات الطاهر وطار من خلال العنوان المزدوج ، ثم تعدّد عناوين المقاطع والفصول في الرواية الواحدة من خلال تتبع بنية الخبر السردية، وأخيرا خاتمة تتناول أبرز النتائج المتوصل إليها.

2. العنوان المزدوج:

نستطيع أنْ نتلمّس جمالية العنوان المتعدّد عند الطاهر وطار من خلال بعض العناوين الروائية التي أنتجها؛ إذْ يحرص على اصطناع العنوان المزدوج فيجمع ما بين العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي الشارح " مثلما هو الأمر بالنسبة لعدد كبير من النصوص السردية القديمة التي تستعين بعنوان فرعي في شكل فقرة مفسرة."[1] وما دام هذا النزوع قد أصبح علامة مميزة في المتن الروائي، بوسعنا القول، إنّ هذا التوجه بقدر ما يندرج ضمن منظور توضيح العنوان الأصلي وشرحه لتوجيه المتلقي نحو مسالك القراءة والتأويل، يكشف بالقدر نفسه طابعا خاصا يسم استراتيجية العنونة.

وفي هذا الصّدد، نلفي الطاهر وطار يعنون النص الروائي بعنوانين، أو يضيف عنوانا فرعيا للعنوان الرئيسي، أو يعدّل في التسمية استنادا إلى آلية الاستبدال، وهذا من شأنه أنْ يجعلنا أمام كتابة متغيرة، غير ثابتة. فالعنوان كما النص كلاهما، في هذا السياق، يضعان القارئ في حالة من الارتياب المربك، والضياع المنتج؛ ذلك أنّه ملزم باقتفاء هذا التحوّل، لعلّه يتقرّى عتبات النص المتجدد، ويستكشف مجاهيل عوالمه الكثيفة.

وكيفما كان الحال، فإنّ المتلقي سيظل يقف إزاء عنوان متعدّد التسمية، وغير نهائي، وبلا شك، إنّ هذا اللاتحديد سيمتد إلى النص ذاته، وبخاصة عندما يعمد الكاتب إلى إعادة كتابته. وهذا يعني أنّ الفراغ جوهري في النص المكتوب، إذ "كل تخيل سردي هو بطبيعته سريع ذلك أنه لا يستطيع، وهو يبني عالما يعجّ بالشخصيات والأحداث، أن يقول كل شيء عن هذا العالم. إنّه يلمح، والباقي يأتي به القارئ الذي يقوم بملء الفضاءات البيضاء... كل نص هو آلة كسولة تتوسل إلى القارئ بأن يقوم بجزء من مهامها.

وحذار إذا قال النص كل ما يجب أن يفهمه القارئ: إنّه لن ينتهي أبدا."[2] لذلك نستطيع القول إنّ العنونة هي، أيضا، ليست معنية بأن تفض أسرار النص كلها. ولهذا، لا نستغرب التغيير الذي طال عناوين روايات الطاهر وطار فهو في واقع الأمر مؤشر على دينامية الكتابة داخل الكتابة ذاتها.

لقد تبين لنا بوضوح أن العنوان المزدوج سمة أساسية في استراتيجية العنونة، وأتصور أنّ هذا المنحى ليس بالضرورة محاكاة لبعض النصوص السردية القديمة التي يتصدرها عنوانان، الأول رئيسي والثاني فرعي؛ وإن كنا لا ننفي انفتاح الروائي على أنماط العتبات في تراثنا الأدبي.

ومهما كانت درجة التفاعل مع التراث العربي، فثمة اختيار فني ووعي عميق بالكتابة يتقدمان استلهام أشكال السرد العربي التقليدية ومغامرة التجريب. وما يعزّز هذا التصور، جنوح الطاهر وطار نحو توسيع حدود العنونة من العنوان المفرد إلى العنوان المزدوج فالعنوان المتعدد، وتكشف هذه الاستراتيجية، بلا ريب، عن آفاق جديدة للقراءة، وإمكانات متعدّدة تفتح للمتلقي مسالك النص.

لا شك أنّ تأمل العنوان المزدوج الذي نلفيه في رواية " **الشمعة والدهاليز**"[3] يكشف لنا عن طبيعته المتغيرة التي تتبدى غالبا من خلال مجموعة من العلاقات ، وما يتولد عنها من دلالات. فالعلاقة الأولى تبدو من خلال آلية الاستبدال، فالشمعة هي النور، الإشراق، العلم، الأمل المتبقي، وفي النهاية هي بعد لا منتهاه يرمز لكلّ شيء فهي من هذه الوجهة – في زمن طغى فيه الإرهاب، والعنف، والتقتيل، والبشاعة، والذبيح– بصيص أمل ترفعه الشمعة مقابل كل تلك المسميات المطبوعة بالشر، هي إذن دهاليز وسراديب مظلمة.

فكأنّ الكاتب يومئ إلى هيمنة قوى الشر والظلامية في وسط تقلصّت فيه صور المحبة والإيثار، والحوارية وقبول الآخر، فالعنوان من جهة أخرى ثنائية خطاها متوازيان بينهما تناقض لا يلتقيان؛ لأنّ الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها، ولا بعدد الجرائم التي يقترفها، ومن ثم فالشمعة والدهاليز، ودهليز الدهاليز، زمن أهل الكهف، إلى روح الشاعر والباحث يوسف السبتي.

لا غرو أنّ ثنائية العنوان – الشمعة والدهاليز، دهليز الدهاليز– تلقي بظلالها على متلقيها فتشدهم إليها وتدفعهم لاستجلاء مكبوتاتها التي تنطوي على قدر كبير من الترميز والدلالات التي تترك أثرها الكلي على القارئ، حتى وإنْ كان الطاهر

وطار نفسه قد أعلن عن ذلك بقوله: " إذا كان هناك تاريخ حقيقي يمكن أنْ أصرح به، هو هذا الذي سيكشفه القارئ الكريم."[4]

وفي هذا الصّدد نلفي الطاهر وطار لم يجد بدا من استخدام الثنائية الضدية في عنوان هذه الرواية وهذا إجراء فني يتجلى من خلال عمق المضمون وأبعاده عن طريق التضاد، على أنّ ذلك عار من العنوان، فالشمعة والدهاليز، ثم التقابلات الأخرى التي نجليها من عتبة هذا العنوان: الظلمة والنور، العلم والجهل، التعقل والتعصب، الحضور والغياب، استحضارها جاء بغية تعرية الواقع والكشف عن المؤامرة التي تحاك ضد الوطن، ومن ثمّ يمكننا القول أنّ اعتماده على بنية التضاد التي تقابل بين العناصر المتنافرة مرده إلى وعي الروائي بخطورة المأساة وما يترتب عليها لاحقا.

3. تعدد العنوان في الفصول والمقاطع

لم يكتف الطاهر وطار بالعناوين الكلية للروايات بل لجأ إلى عنونة الفصول والمقاطع أو الفصل بين الفصول بعلامات مميزة ، وقد تجلت هذه العنونة خاصة في أعماله الأخيرة، بعد الاستفادة من التجارب السابقة، حيث جاءت العناوين الفرعية بالشكل التالي:

الشمعة والدهاليز:

دهليز الدهاليز، الشمعة؛ إذ يقوم هيكل النص على هندسة مركبة يحاول السارد من خلالها الكشف عن تلك الصراعات الإيديولوجية التي أصبحت تمزق الوطن وتدفعه إلى الانتحار، وبذلك فهو نص إيديولوجي صب في قالب روائي، حاول الكاتب من خلاله تشريح الواقع من أجل كشف تناقضاته الداخلية، وحتى يتسن له ذلك ترك شخصياته تكشف عن هويتها وتوجهاتها، ومن ثم يغدو الكاتب " صاحب موقف فكري، وبالتالي فليست هناك تجربة أدبية لا رؤية للكون والحياة."[5]

الولي الطاهر:

1- تعليق حر، 2- العلو فوق السحاب، 3- السبهللة، 4- في البداية كان الإقلاع، 5- محاولة هبوط أولى، 6- محاولة هبوط ثانية، 7- محاولة هبوط أخرى، 8- هبوط اضطراري.

تنطوي تجربة الطاهر وطار الروائية على عناصر أغنتها التجارب الأخرى التي مكنته من التعامل مع جغرافية القص بوعي جلي وجرأة بارزة فلا يكاد القارئ أن يطأ عتبة النص حتى تغشيه فتنة الكلمات فيقع في متاهة حقيقية لكنه لا يملك إلا أن يفتن بالضياع فيها ومعها، فمن دخل عالم الطاهر وطار فلا مفر من خضوعه لطقوس التعري والانزواء " ومن هنا تأتي أهمية القارئ وتبرز خطورة القراءة، كفعالية أساسية لوجود أدب ما." [6]

فبدءا بعناوين الرواية التي تعلو على المألوف وتضع القارئ في التشويش والذهول (تعليق حر، العلو فوق السحاب، السبهللة، في البداية كان الإقلاع، محاولة هبوط أولى، محاولة هبوط ثانية، محاولة هبوط أخرى، هبوط اضطراري) تلك خاصية العنوان في الرواية الحديثة " يبرز متميزا بشكله وحجمه"[7] ليضفي على النص صبغة سوريارية ويحدث فجوة شعرية بين اللغة المألوفة والمحكومة بمنطق المعنى وبين اللغة المنتجة التي تحاول أن تبني نمطا اختلافيا، يكون بمثابة ولادة جمالية فنية [8] تتخذ من ذلك رسالة متباينة الملفوظات، مشوشة المفاهيم، تستقطب الرمزي والمتخيل والواقعي وتغدو القراءة من خلالها تأويلا والسرد متعدد الوسائط، مما يدل التطور الفني للرواية مع تجربة الطاهر وطار.

الولي يرفع يديه:

لا مناص أنّ فعل اللغة حمل بطاقات دلالية وسلوكات ذهبية لشخصية " **الولي الطاهر**" - الرمز- منذ التحليق الحر إلى الهبوط الاضطراري، وبين هذا

وذاك نلمس البعد الديني الداعي إلى التخلية والتحلية؛ تخلية النفس من الشوائب وتحليتها بالفضائل، سمته إفلين بيرج فيتز Evelyn birge vitz بالهاجيوغرافيا وعرفته بأنّه " خطاب ذو توجه باعث على التقوى في ارتباطه بقديس، بمعنى إنسان مقدم تاريخيا على أنّه حقيقي وذو أخلاق سامية" [9] إضافة إلى أنّ الهاجيوغرافيا أساسا " بلاغة لأنّها بدقة خطاب مدح، إقناع وبرهنة..الهاجيوغرافيا تعمل على الإثبات، فهي إذن خطاب ثناء" [10] إنّها تسعى إلى إقناع المستمعين بضرورة الفعل والتضرع إلى الله، إما بشكل مباشر.

وأما عن طريق الاقتداء بالقديس وحثهم على التماس رضاه ومساعدته، والسارد في مثل هذا النوع من الخطاب يعمل على إلصاق بعض الجزئيات في محكيه قصد جعل الأحداث المعنية ذات مصداقية بربطها القوي بالتاريخ، وهذا ما اشتغلت عليه رواية "**الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي**" برفعها لهذه الشخصية إلى مصاف الأولياء الصالحين القادرين على الاتيان بالمعجزات وتحقيق الكرامات بحكم ورعهم وزهدهم وتقواهم في الحياة مما جعل دعواتهم وشفاعاتهم مقبولة، ونتيجة لذلك نلفي جلّ الموجودات التي تحوط " **الولي الطاهر**" منساقة، طائعة، تمشي بأوامره، وتنتهي بنواهيه:

سأل المقدم: هل سمع ما يسمع، فانحنى معتذرا:

العفو يا مولانا الولي الطاهر.

لا كرامة إلا لأولياء الله الطاهرين" [11]

وفي هذا الإطار، حينما نعاين العناوين الفرعية لرواية الولي يرفع يديه نلفي (التحديق في الزمن، التأرجح المتقاذف، العكس أصح، رسالة من تحت السواد الدامس، ما نخاف، الإرهاب ينتصر، خذني معك، انقلاب السحر، ويل العراق يا مويلية) فهي عناوين لجأ إليها الطاهر وطار لتغيير المسار العام للرواية، وقطع

الفكرة ليبدأ فكرة أخرى، وهي تقنية لتكثيف الرواية؛ فمن خلالها تتكشف الأواصر الخفية للوجود المتحقق مع تظافر الوعي مع الموضوع فالولي الطاهر كشخصية محيزة في المكان تؤدي وظيفة الحامل أو الأداة أو الوسيط الذي يتحقق عن طريق الوجود بوصفه أداة للتعبير والكلام، وليس مجرد كائن لا يحمل أي معنى.

4.خاتمة:

لا غرو أنّ تعدد العنوان، أو العلامات اللغوية الخارجة عن بنية النص، في روايات الطاهر وطار كانت محاولة منه للتقرب من القارئ الافتراضي، وتيسير فهم الرواية له من جهة، وتحميله رسالة ما من جهة أخرى، فكل عنوان رئيسي أو جزئي، له دلالاته وأهدافه التي يتوخاها منه، ليضيء طريق النص للقارئ؛ هكذا إذن، تتجسد استراتيجية العنوان المتعدّد في روايات الطاهر وطار، انطلاقا من وظائفه وآليات اشتغاله، وتفاعل العنوان الأصلي مع العنوان الفرعي سواء أكان مفردا أم ثنائيا.

ثمّ إنّ هذه الأدلة، فضلا عن ذلك، تكتسب كثافتها الدلالية ممّا تتوفر عليه من قوة مؤشرية أو أيقونية. لهذا، فإن العنوان المتعدّد، هو بشكل ما، عنوان مفتوح. ليس لأنه مزدوج أو ثلاثي، بل لأنه يتيح مستويات متعدّدة للتلقي من خارج النص ومن داخله في آن، ممّا يدفع التأويل نحو أبعاده القصوى؛ وينسحب ذلك أيضا على عناوين الفصول التي تنهض على الاستراتيجية نفسها في نصوص الطاهر وطار الروائية التي تجعل المتلقي أمام عنونة/ كتابة متحركة.

لا شك أنّ استراتيجية العنوان في روايات واسيني تغرينا دائما أن نرتاد مناطقها البكر، التي لم تستنفذ تأويلا بعد. وما رصدناه، حتى الآن، لا يتعدى شذرات من ومضاتها التركيبية والدلالية. ثم. ولأنّها منتكهة بالبياضات، كثيرا ما تخرق السنن المألوف للعنونة، وتفتح أفق توقع المتلقي على آفاق جديدة.

5.المراجع

[1]– شعيب حلفي، الرحلة في الأدب العربي، الجنس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية (121)، القاهرة، مصر، 2002، صص.170.

[2]– أمبرتو إيكو، نزهات في غابة السرد، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، صص19، 19.

[3]– طاهر وطار، الشمعة والدهاليز، منشورات التبين الجاحظية، الجزائر، 1995، ص1.

[4]– المرجع نفسه، ص.6

[5]– طه وادي، الرواية والسياسة، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ط1، 1996، ص177.

[6]– عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية) ، دار سعاد الصباح، الكويت، ط3، 1993، ص75.

[7]– دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1985، ص44.

[8]– عبد الوهاب ترو، دراسة وصفية لمستويات الترميز في النص الأدبي في الفكر العربي المعاصر، مركز الانتماء العربي، بيروت، 1988، ص95.

[9] –Evelyn birge vitw, vie legendes ,litterqtures ,tradition orales et ecritures dans les histoiries des saintes poitique ,seuil, novembre 1987, p387.

[10] – ibid, p388

[11]– الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، منشورات التبين، الجاحظية، الجزائر، 1999، ص76.